دائرة المعارف الحسينية مشروع رائد يتصدر الموسوعات العالمية

كنت طوال هذه الفترة متابعا لهذا النشاط الموسوعي الكبير وكنت بين الحين والآخر أتردد على سماحته أيام كانت لندن تعج بعمل المعارضة العراقية وكانت فعاليتنا معظمها تنصب في العمل السياسي والإعلامي لإسقاط النظام الصدّامي، إضافة الى الجهد الإجتماعي، وكان مركز أهل البيت الاسلامي وسيدنا الكبير السيد محمد بحر العلوم أحد المحاور الاساسية لهذا الجهد السياسي طوال عقدي الثمانينات والتسعينات من القرن الماضي.

اعتكف سماحة الشيخ الكرباسي بعيدا عن العالم السياسي والإجتماعي في منزله الصغير لتحقيق الحلم الذي كان يراوده في إنجاز هذه الموسوعة الكبيرة في عطائها في الوقت الذي انغمسنا في الشأن السياسي. شعرنا بأنّ المشروع يأخذ جل وقته فلا مجال له للمشاركة في فعاليات الجالية العراقية التي تستنزف الكثير من الوقت، وكنا نعرف ذلك جليا حتى في المناسبات الإجتماعية التي تتطلب المشاركة مثل الفواتح، كان يقتصر فيها على تقديم العزاء في البيت بدلا من المشاركة في العزاء العام اختصارا للوقت.

لازلت أتذكر في زياراتي له القليلة وهو يحدثني عن المشروع بضخامته والإمكانات المطلوبة لتحقيقه كنت أتردد لثوان لكن ما كنت أتحسسه من تصميم وإرادة في تقاسيم وجهه، وما توحي لي أنامله المتورمة من كثرة الكتابة توحي بإيمانه الكامل بالهدف المقدس الذي يسعى نحوه، وبالتالي كنت على يقين بأن تتضاءل أمامه الحواجز والمشاكل.

أين موقع الموسوعة؟

عالم الموسوعات عالم كبير وواسع وقد تطور في العقود الأخيرة، فالمتابع للأعمال الضخمة بما تمتلكه من امكانات بشرية ومالية ومؤسسات ودوائر، وترصد لها ميزانيات وكوادر بحثية من ـجل إخراجها يدرك ذلك، أما الموسوعة التي نحتفي بها اليوم فقد كانت من إنجاز وجهد فردي إمتلك الإخلاص والإرادة فكان التوفيق في إنجازها، وأملي أن يطيل ا في عمره ليرى إنجازه بشكل كامل، وإنني على ثقة بأنّ هناك رعاية لهذه المشاريع المشاريع العقائدية، تذكرت وأنا اكتب هذه السطور أن قرأت ما تعاهد عليه الشيخ أغا بزرگ الطهراني والشيخ عبد الحسين الأميني والشيخ كاشف الغطاء رحمهم ا جميعا أثناء الهجمة الوهابية على الفكر الشيعي في الأربعينات من القرن الماضي، تقول الرواية كان العظماء الثلاثة في زيارة الإمامين الكاظمين(ع) وتداولوا في الأمر وماذا يمكن أن يقدموه في هذا الشأن فتعاهدوا على المضي في أعمال موسوعية لتصبح رافدا لكل المعنيين بالشأن وكاشفا لحقيقة مذهب أهل البيت عليهم السلام. فتمضي الأيام وكل منهم يتوجه الى تحقيق عمل رائد ضخم فكانت "موسوعة الغدير" في

أربعة عشر مجلداً للشيخ الأميني، و"الذريعة إلى تصانيف الشيعة" للشيخ أغا بزرگ الطهراني في أكثر من عشرين مجلداً، وكذلك أعمال كتابية للشيخ كاشف الغطاء ثمرة جهد دام عشرات السنين لكنها بقيت شامخة هذه الاعمال وأصبحت من أمّات الكتب التي تعتمدها المكتبة العربية الاسلامية والغربية اليوم، والغريب في هذه الأعمال الكبيرة كانت تقوم على جهود فردية، لذلك فإنني على قناعة من هذا العمل سيكتمل وسيرى النور بشكل كامل بالقريب العاجل.

الشعر يتصدر دائرة المعارف الحسينية

لأول وهلة عندما تطلع على الهيكلية العامة للأبواب الستين وتفاصيلها - أي خطة البحث- لهذه الموسوعة تجد حقا أمام تخطيط ورؤية واضحة لمشروع لا يمكن تحقيقه بأبوابه المقترحة إلا من خلال دوائر كبيرة منتشرة وكوادر. المهم في الخطة نجد أنّ َ الشعر له حصة الأسد في دائرة المعارف الحسينية فيبدو سيكون هناك اكثر من ٣٠٠ مجلد عن الشعر والشعراء في الامام الحسين وثورته ونهضته أي ما يزيد على ٥٠٪ من الموسوعة سيحتضنها الشعر.

وأنا اراجع فهرست الموسوعة في الشعر العربي الفصيح حسب القرون فوجئت بالأرقام ولكن سرعان ما تنبأت بالسبب، فلكل قرن لربما مجلد أو أكثر من مجلد وعلى العموم القرن الأول جمعت فيه ٣٢٠ قصيدة، أما القرون من الثاني الهجري وحتى القرن الحادي عشر الهجري كانت مجموع القطع الشعرية لكل قرن لا تزيد عن ١٧٣ في القرن الرابع وأقلها القرن الحادي عشر بحدود ٨٠. الملفت للنظر في القرون اللاحقة فالقرن الثاني عشر (٧٣٩ قصيدة) والقرن الثالث عشر الهجري (٥٩٤ قصيدة) والقرن الرابع عشر حوالي (١٨٥٨ قصيدة) اما القرن الحالي فقد ضم عشرين مجلداً ولا زلنا في الربع الاول منه.

السؤال الذي جذب انتباهي: لماذا انتعش الشعر الحسيني في القرن الثاني عشر الى يومنا هذا؟

لا أود أن اكون ارتجاليا في إجابتي فحسب معلوماتي المتواضعة فلا استبعد أن تكون حصة كبيرة من هذا الشعر الذي نظم في القرون الثلاثة الأخيرة كانت صناعته في النجف الأشرف، وللشيخ محمد رضا الشبيبي رحمه ا دراسات حول تاريخ الادب والشعر في النجف هذه الفترة، ففي أحد الروايات أن في عصر سيد الطائفة السيد محمد مهدي بحر العلوم كان في النجف أكثر من ٣٠٠ شاعر، وعلى كل حال أظن من المفيد دراسة هذه الظاهرة الملفتة.

والجدير بالذكر أن الموسوعة لم تقتصر على الشعر العربي القريض بل تعدت لتنشأ الشعر الحر وكذلك لم تقتصر على الفصيح بل شملت الشعر العامي وما نظم في الامام الحسين، والجديد انها امتدت لتبحث عن تأثير نهضة الحسين في الثقافات الاخرى فأفردت أجزاءً للشعر الفارسي والتركي والأوردي والپشتوي والانكليزي والألباني وغيرها من اللغات.

المكتبة الحسينية

ما لفت انتباهي هو حصيلة ما جمعه فضيلة الشيخ الكرباسي من الكتب حول الامام الحسين، لربما قاربت اليوم عن عشرة آلاف كتاب وهو بحد ذاته جهد كبير نتمنى على العتبة الحسينية أن تسعى بالتعاون بشكل

او بآخر مع دائرة المعارف الحسينية انشاء مثل هذه المكتبة في العتبة. اضافة الى ذلك اتمنى من سماحة الشيخ الكرباسي أن يصنف ما كتب في الثورة الحسينية في الأطاريح الجامعية حيث يبقى العمل الاكاديمي يمتاز بالأهمية نحن بحاجة الى رصد لثورة الحسين بأبعادها المختلفة من خلال العمل الاكاديمي في الجامعات العربية والإسلامية والغربية .

هناك قضايا وددت أن اشير اليها وأنا أتطلع الى الجهد المبذول في هذه الموسوعة:

1- الثورة الحسينية وقضايا الفن والمسرح والتشابيه (المسرح الجوّال) يمكن أن تضيف الشيء الكثير باعتبارها جزءاً من الثقافة، صحيح وجدت فصلا في أحد الأبواب يناقش ذلك، وفي تصوري يمكن التوسع في ذلك لوجود مادة غزيرة، وأنا اتذكر أن ندوة عقدت في لندن بعنوان "حسين دي" (يوم الحسين) في الثمانينات وألقيت محاضرات لأساتذة أجانب في هذا المجال حيث يمكن باعتباره عملا موسوعيا أن يشتمل على ما قدمته الشعوب فنيا في هذا المجال.

2- مهرجانات الامام الحسين التي عقدت في العراق والعالم يمكن أن تصبح مادة وثائقية فمثلا مدينة النجف شهدت مهرجانات بولادة الامام الحسين عبر سنوات عشر من عام ١٩٦٠-١٩٦٨ تشكل انعطافة سياسية مهمة كانت المادة التي تلقى تستلهم من ذكرى ومن حركة الإمام الحسين منارا للتعبير عن احتجاج له مدلولات سياسية هامة وبرعاية المرجعية الدينية.

3- الشعائر الحسينية يحب البحث في بعضها بشكل أكثر تفصيلا فقد انتجت انتفاضات مثل انتفاضة صفر عام ١٩٧٧م مسارات جديدة في مواجهة الطغاة، وبشكل عام أتصور أن تغطية الموسوعة يجب أن يشمل ظاهرة المسيرات الراجلة في أربعينية الإمام الحسين التي أخذت بعدا يمثل منعطفاً حسينيا متميزا يجب دراسة أبعاده تاريخيا واستشراف المستقبل. وكذلك التركيز على مسيرة طويريج وتوثيقها باعتبار هذه حوادث هامة ومتجددة ومتميزة ليست عابرة.

لاشك إن هذا العمل الكبير سيسجل انجازه بكل افتخار واعتزاز لجهود وإرادة هذه الشخصية ونحن نلحظ أهمية هذا العمل مع التوجهات التي برزت حاليا في ايران وغيرها من الدول والإمكانيات من كوادر ومنشئات من أجل انتاج موسوعية ضخمة، نقول هذا العمل لا يقل أهمية عن الاعمال الاخرى ويكفي أنه إنجاز لفرد وظف وقته وعلمه وعلاقاته لإنجاح هذا المشروع، كل أملنا أن يرى هذا المنجز الموسوعي الضخم النور كاملا في أقرب فرصة لنحتفل ثانية.